التعليم الديني ما بين الماضي والحاضر
وتأثير الفضاء الإلكتروني على نشر العلوم الدينية

الكاتبة: زينب جابر (عراق)[1]

استلام: ١٤٣٨/٠٣/٠٣ قبول: ١٤٣٩/٠٣/١١

المستخلص

كرّم الله عز وجل الإنسان على سائر المخلوقات ورفعه من خلال العقل، والذي بواسطته استحق أن يكون «**خليفة الله في الأرض**»، وقد خلقه وخلق معه أدوات مكنته من التفكر والتدبر والتعبد، وقد حُث على إعمال العقل وطلب المعرفة والعلم، لأنه بالعلم وحده يعرف الله عز وجل ويوحد ليصل الى تحقيق دوره في هذا الاستخلاف، فأول ما نزل به القرآن الكريم كان الدعوة إلى القراءة والعلم: «**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**». وقد حُدّدت غايات العقل بتوجيهه نحو معرفة علمية بالكون والطبيعة والإنسان من خلال التبصر والنظر، وقد وجب على البشر تشغيل العقل في معرض تنظيم شؤون دنياهم من خلال ما جاء به نبي الإسلام ﷺ من تشريعات، وقد رفع في بداية دعوته شعار إلزامية التعلم، وأن العلم ليس من باب المستحب، بل هو من الفرائض، فقد اشتهر عنه قوله: «**العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»، وفي سيرته نجد أنه جعل فداء الأسرى تعليم الأميين القراءة والكتابة، وجعل مهر المرأة تعليمها آيات القرآن، كما بيّن وأهل بيته ﷺ مكانة العلم وآثاره الدنيوية والأخروية. فالعلم والتعليم لهما أهمية كبرى لا يمكن إنكارها، وهما من العوامل الرئيسية التي تساهم في تطوير الفرد والمجتمع: اقتصاديا، اجتماعيا، ثقافيا، وسياسيا، وعلى مر التاريخ البشري فرضت التطورات الطارئة على المجتمعات واقعا جديدا، وامتد غزو تكنولوجيا المعلوماتية ليستوعب كافة مناحي وشؤون الحياة، كل ذلك ترك آثارا عميقة على مستوى الإنسانية كافة لا سيما على المناهج والأساليب التعليمية ليؤدي بالنتيجة إلى تمايزه ما بين الماضي والحاضر.

١- طالبة ماجيستر في لجنة تأريخ التشيع، جامعة الأديان والمذاهب، قم، ايران، khadimat.baqiiatullah@hotmail.com

في هذه المقالة نسلط الضوء على أهمية التعليم الديني، والتغييرات الطارئة على الأساليب التعليمية في ظل الثورة التكنولوجية، ودخول العالم الالكتروني على خط تحصيل العلوم الإنسانية والدينية، وإتاحة فرصة اكتساب العلوم ونشرها عن طريق الفضاء الافتراضي أو ما يسمى بالدراسة عن بعد وما تحمله معها من خصائص ومنافع.

الكلمات المفتاحية: التعليم الديني، تكنولوجيا المعلوماتية، الفضاء الإلكتروني، الواقع الإفتراضي

المقدمة

أعطى الله عزوجلّ المكانة العظيمة لمن تحقق فيه عنواني الإيمان والعلم، فرفع سبحانه وتعالى منزلة العلم والعلماء ووصف نفسه تبارك وتعالى بالأكرم بأنّه علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم.

قال تعالى:

«**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**».[1]

شددت الروايات الصحيحة والآيات القرآنية على ضرورة التعلم ونشر العلم بشتى الوسائل المتاحة، والتي تؤدي الى نشر تعاليم الإسلام المحمدي ﷺ الأصيل المبني على أسس عقليّة عصريّة متناسبة مع احتياجات الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء.

وقد فضل العلماء على جميع الأصناف بدرجاتٍ فوجب كون العلماء أفضل الناس، وقد خص الله عزوجلّ في كتابه المجيد العلماء بخمس مناقب:

الأولى في الإيمان:

«**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِه**».[2]

١- المجادلة، ١١.

٢- آل عمران، ٧.

الثانية في التوحيد:

«شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ».[١]

الثالثة في البكاء والحزن:

«إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا».[٢]

الرابعة في الخشية:

«إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ».[٣]

وقال الله تعالى مخاطبا نبيه آمراً له مع ما آتاه من العلم والحكمة:

«وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً».[٤]

إنّ إحياء الإسلام لا يكون فقط بالعلوم الدينية الإختصاصية، بل قد يحصل من خلال التطوير الإنتاجي للعلم الذي يجعل المجتمع غير مقيّد بقيود الظلم، ويجعل المجتمع الإسلامي في مقام جذب الآخرين إليه.

قبل أن يشهد العلم هذه التخصصية الموجودة في عصرنا الحالي كانت الفلسفة هي أم العلوم، وكان موضوعها هو الوجود، وما وراء الوجود، والإنسان.[25]

مع التطور انقسمت هذه العلوم إلى قسمين علوم طبيعية وأخرى إنسانية، وقد ضمت العلوم الطبيعية: الفلك والفيزياء والرياضيات والكيمياء والطب وغيرها،

١- آل عمران، ١٨.

٢- الإسراء، ١٠٧.

٣- فاطر، ٢٨.

٤- طه، ١١٧.

وصارت العلوم الإنسانية تضم الفلسفة والسياسة والتاريخ وعلم الإجتماع والنفس وغيرها من العلوم، وأصبح لكل فرع من فروع هذه العلوم فروع متخصصة.

وقد حققت هذه العلوم جراء تطورها وتخصصها، الكثير من الإنجازات والكشوفات، ومعها ساد الشعور أنّ العلوم قادرة على حل كل مشاكل الإنسان، في رؤيته لنفسه، ورؤيته للعالم المحيط به، ولتفاعلاته مع سائر البشر، لم يقف الإسلام متفرجاً إزاء هذه العلوم بل كانت له إسهامات كبيرة وجادة في تطورها فالإسلام إذ يفتح العقل على باب النظر والتقصي في حقيقة هذا الوجود، جاء ليعيد جميع المحسوسات وجميع العالم إلى مرتبة التوحيد، فتعليماته ليست تعليمات طبيعية أو تعليمات رياضية أو طبية أو التي تدرس في ميادين شتى، إنها تشمل كل تلك، ولكنها مرتبطة بالتوحيد الذي ينتهي إلى مقام الألوهية.

فالمعنى الذي تبتغيه العلوم الجامعية هو ذو قيمة كبيرة، ولكن ثمة فصل بين المعنى الظاهري وهو معنى مشترك بين كل العاملين في حقل هذه العلوم، والمعنى الذي يبتغيه الإسلام، وهو أن ترتبط جميع هذه العلوم الطبيعية أو غير الطبيعية بالتوحيد أي أن يكون لكل علم جانب إلهي، فيرى الإنسانُ الله عندما ينظر إلى الطبيعة، ويرى الله عندما ينظر إلى المادة، وسائر الكائنات، مع أنه لا بد من وجود الطب، ووجود العلوم الطبيعية، والعلاج البدني إلا أن المهم هو مركز الثقل وهو التوحيد الذي ينظر إلى تلك المعنويات بتلك المرتبة العالية، أي حين يستحضر صورة الألوهة من خلال الطبيعة، وأنها موجهة من عالم الغيب، ولو نظر الإنسان إلى الطبيعة بهذا العنوان كان يمكنه أن يكون كائناً إلهيا.[1]

١- جمعية المعارف الثقافية، ٢٠١١، ص. ٥.

أهمية التعلم

إنّ العلم هو نورٌ وضياءٌ يقذفه الله في قلب من يشاء،[١] والجهل هو ظلامٌ يحرق الأمم والشعوب، والعلم هو أساس قيام الحضارات والتقدم الذي يرفع من شأن الفرد والأمة، وقد جاءت حاجة الإنسان إلى العلم والمعرفة فانطلق باحثاً يدوّن ما يراه، فاخترع واكتشف الكثير حتى تطورت أفكاره مع مرور الزمن، ليبلغ به الأمر إلى الوصول إلى الفضاء لإكتشاف خفاياه، وقد طوّر وسائل الاتصال حتى تحوّل العالم الى قريةٍ صغيرة.

فبالعلم تُهذّب النفس، وتتحرر النفس البشرية من قيود الجهل والظلم والظلام، فيكسر الإنسان به قيد التبعيّة، وبالعلم نشأت الحضارات وتطورت المدن والبلدان، ووصل الإنسان إلى السعادة والتوازن والإستقرار والإعتماد على الذات، فالتعلم والتعليم من الأمور الواجبة التي على الإنسان السعي إلى تحقيقها، وخاصّة الأمور المرتبطة بالدِّين والتي تعتبر من القضايا الأساسيّة التي أرسل الله عزّ وجلّ الأنبياء لأجلها، حيث كلّفهم بالدَّعوة إلى الدِّين، وتعليم النَّاس الأحكام، كي يتفقّهوا في الدِّين، وتستقيم سلوكهم وعلاقتهم بالله تعالى، فكان لابدّ للنَّاس تعلّم العقيدة وذلك مما يساعدهم على تصحيح إيمانهم واعتقادهم وفكرهم، ويتعلَّمون من الفقه ما ينظّم عباداتهم وعلاقتهم بالله والنَّاس، ومن الأخلاق ما يزكّي النَّفس ويهذّب السُّلوك، فبهذا المقدار يمكن أن ينجو الإنسان يوم القيامة، ويعيش حياته الدُّنيويَّة بسعادة وانتظام.

وقد نبّه نبي الإسلام محمّد ﷺ وأهل بيته الميامين على الإهتمام بنوع العلم وصفته حتى لا تمتلىء النفس البشريّة بما يضرّها، أو على الأقل بما لا ينفعها، ففي وصية الخضر عليه السلام لكليم الله موسى عليه السلام:

«واعلم أن قلبك وعاءً فانظر ماذا تحشو به وعاءك».[٢]

١- عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أَلْعِلْمُ نُورٌ يَقْذِفُهُ الله فِى قَلْبِ مَنْ يَشآءُ». (المجلسي، ١٩٨٣، ج١، ص. ٢٢٤)

٢- العاملي، ١٤٠٩، ص. ١٤٠.

وقد اشترطوا في العلم المنجي شرطين أساسيّين:

١- أن يكون العلم لأجل العمل،

٢- أن يكون العلم خالصاً لوجه الله عزّ وجلّ.

كما قد بيَّن أهل بيت العصمة ﷺ ثواباً كبيراً لسالك طريق العلم فاعتبروا أنّ المتعلّم كالصَّائم نهاره القائم ليله، تُظلُّه الملائكة وتستغفر له الأرض، وأنّ بينه وبين الأنبياء درجة ويوم القيامة من العتقاء من النار.

وقد سعى العلماء المخلصين لتحقيق الهدف الأسمى وهو خدمة الدين، وبث التوعية الإسلامية، وتوجيه المسلمين نحو الخلق الكريم والسلوك الأمثل، والجهاد في صيانة الشريعة الإسلاميّة وتعزيزها، ودأبهم على إصلاح المجتمع وإرشاده، وهذا ما يقتضيهم وقتاً واسعاً، وجهداً ضخماً، وقد أعرب أهل البيت عليهم عن جلالة العلماء وضرورة تبجيلهم وتوقيرهم، قولاً وعملاً، حتى قرّروا أنّ النظر إليهم عبادةً، وأنّ بغضهم مدعاةً للهلاك، كما شهد بذلك الحديث الشريف، فعن موسى بن جعفر عن آبائه ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ:

«**النظر إلى وجه العالم عبادة**».[١]

وعن أبي عبد الله أنه قال، قال رسول الله ﷺ:

«**أغد عالماً أو متعلّماً أو أحب العلماء ولا تكون رابعاً فتهلك ببغضهم**».[٢]

فللعلماء مكانةٌ ساميةٌ، وفضلٌ كبيرٌ على المجتمع، ودورٌ عظيمٌ في تثقيف أبناء المجتمع بالعلوم والآداب، وهم روّاد الثقافة، ودعاة العلم، وبناء الحضارة، وموجّهو الجيل الجديد.

١- الطوسي، ١٣٨٨، ص. ٤٥٤، ح٢١.

٢- المجلسي، ١٩٨٣، ج١، ص. ٥٩.

وحسبك في فضل المعلم ما قاله الشاعر أحمد شوقي:

قُمْ للمعلّمِ وفِّهِ التبجيلا كادَ المعلّمُ أن يكونَ رسولا
أعلمتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذي يبني وينشئُ أنفساً وعقولا[1]

التعليم الديني في الماضي وفي الحاضر

لقد سعى العلماء في السنون الماضية الى بذل الجهد لنشر وتعليم العلوم الدينية والإنسانية بغية تحقيق التكامل في المجتمع الإنساني، وتأديةً لوظيفةٍ أخلاقيّة شرعيّة، تؤدي في النهاية إلى تحقيق التوازن في الحياة الإجتماعية وعلى جميع الأصعدة.

فالتعليم هو القاعدة الأساسية لنهوض الأمم، وهو المعني بتأهيل وتدريب وصقل مهارات الكوادر البشرية التي تدير المجتمع بأسره، ولذلك فإنّ الإهتمام بالتعليم هو القاعدة الأساسية للنجاح والتميّز في كل المجتمعات البشريّة وعلى مرّ العصور والسنون، فإذا أردنا التحدث هنا عن إنطلاقة مدرسة التعليم النبوي ﷺ، نجد أنّ حلقات الدروس كانت تعقد في بيوت رسول الله الأكرم ﷺ وبيوت الصحابة ثمّ في المسجد النبويّ الشريف، وهنالك مَن يرى أنّ أوّل حوزةٍ علميّة في تاريخ المسلمين هي حوزة الكوفة الّتي أنشأها الإمام الصادق ؑ، والّتي كانت تضمّ أربعة آلاف طالب.[2]

ومن هنا أخذت الحوزات العلميّة دورها البارز في الساحة الدينيّة، واستغلّت مكانتها ورسالتها السامية، فأخذت على عاتقها دور التبليغ والإرشاد، لتأخذ بيد الأُمّة إلى برّ الأمان وساحة الجنان، وقد استمرّ الأمر على هذا المنوال حتّى عصرنا الحاضر. وقد اعتمد العلماء والأساتذة بشكلٍ كبير على ارتياد المنابر في المساجد أو الأماكن العامة لجذب المخاطبين، سواءاً بمحاضراتٍ أو خطاباتٍ دينيّة، سياسيّة أو ثقافية، بهدف التبليغ الديني، التعليم، والتربية.

١- قصيدة من ديوان للشاعر أحمد الشوقي.

٢- البهادلي، ١٩٩٣، ص. ٩٩.

إلا أنّ تقدّم الزمن والتطوّر الّذي لحقه على كافّة الأصعدة، استدعى البعض لأن ينمّي بعض آليات إيصال العلم والمعلومة، فيستغلّ التقنيّات من أجل تحويل النمط التقليدي في الدراسة والتدريس إلى بيئةٍ الكترونيّة حديثة، فمع الثورة التكنولوجية وتوفر الوسائل الميسّرة كالكمبيوترات، شبكات الإنترنت، والفضاء الإفتراضي والسايبري تغيّرت السُّبُل ليعتمد التعليم بشكلٍ أساسي على العالم الإلكتروني الذي ما انفك أن أصبح في متداول الجميع، واجتاح تفاصيل الأفراد وحياتهم اليومية.

هذا التحول الكبير في عالم التكنولوجيا قد أوجد تغييراتٍ ملحوظة على الصعيد التعليمي الديني، ليمكّن الآلاف في أزمنةٍ وأمكنةٍ مختلفة من الإستفادة من العلوم الدينيّة بجهدٍ أقلّ مما كان يبذل في السابق.

وقد أدّى استخدام شبكة الإنترنت الى تطور مذهل وسريع في العملية التعليمية، كما أثّر في طريقة أداء المعلم والمتعلم، وقد نشأ على المستوى الدولي للتعامل مع الإنترنت وشبكات المعلومات مصطلحات وفلسفات متنوعه نذكر منها:

الجامعات الإلكترونيه، الجامعات الإفتراضية، التعليم المفتوح، الواقع الإفتراضي، الفضاء الإفتراضي، الدراسة عن بعد، الفضاء السايبري، وغيرها من المصطلحات التقنية الحديثة التي تطبق بشكل عام في مسارٍ واحد، وهو توظيف الحاسب الآلي بشكل رئيس في عمليّتي التعليم والتعلّم الديني من خلال تحقيق مستوىً عالٍ وفاعلٍ من الاتصال والتفاعل بين مصدر المعلومة والمتعامل معها، ونظراً لحداثة هذه المصطلحات فقد تباينت الآراء حول تعريفاتها الإجرائية شأنها.

إنّ العصر الذي نعيش فيه هو عصرٌ دخلت فيه التكنولوجيا مجالات الحياة، ففي مجال التعليم بتقنية المعلومات، وفي مجال الطب وعالم المختبرات، وفي الإقتصاد والإجتماع، وفي الدعوة والإعلام والإتصالات، وبصورة نافعة قرّبت كل بعيد وسخّرت ما كان صعباً أو محالاً في الأيام الغابرة والعصور الخالية، التي لم فيها الظروف والإمكانات المساعدة للمعلم أو المتعلم على حدٍّ سواء كما هي الحال اليوم، ولم يتهيّأ لهم أبداً الإمكانيّات والدعم والوسائل الحديثة، وحتى الآذان الصاغية والقلوب المشتاقة كما هو الوضع حالياً.

وقد كان المسلمون من رواد التعليم في العالم، وكان العلم في الأيام السابقة يعتمد على مجالس العلم وكتاتيب المسجد، وسرعان ما تطورت المراحل التعلمية حتى دشنت المواقع والشبكات الإلكترونية، التي مكّنت طلاب العلم من التواصل مع العلماء واستشارتهم فقهيّاً، عقائديّاً، اجتماعيّاً، وثقافيّاً.

وإذا ما أردنا ذكر الفوارق الموجودة ما بين التعليم في الماضي والحاضر، فيمكن تسليط الضوء على الوسائل الواردة في هذا المجال والتي ساعدت بشكلٍ كبيرٍ في تسهيل عمليّة التعليم والتبليغ الديني والتي بدورها مكّنت العلماء من نشر التعاليم الدينيّة بشكلٍ أوسعٍ ولعددٍ كبيرٍ من المخاطبين في كل بقعةٍ من بقاع العالم، وفي فترةٍ زمنيّة قليلة، ففي الماضي اذا أراد الفرد معرفة حكمٍ أو مسألةٍ شرعيّة أو دينية عليه الأنتظار لأيامٍ حتى يتمكن من الحصول على الإجابة التي يريدها، أما اليوم فقد تأسّست المواقع الالكترونيّة الخاصة بالعلماء، والتي سهّلت الكثير أمام المقلدين وطالبي العلوم، كما أنّ الكتب الالكترونيّة التي تتوفر اليوم بصيغة PDF والتي ساعدت على الوصول الى المصادر والمنابع والكتب الأساسيّة، فتمكن المتعلمين من الحصول على الكتب بقيمةٍ مجانيّة، وبزمانٍ مختصر.

وقد تطوّرت يوماً بعد يوم عمليّة التعليم الديني حتى غدت الإذاعات المسموعة، والقنوات المتوفّرة على الشبكة العنكبوتيّة، وشبكات التواصل الإجتماعي من أهم الوسائل التي ساعدت على نشر العلوم ومهّدت الطريق أمام العالم والمتعلّم على حدٍّ سواء لتلقي ونشر العلوم الدينيّة والحديثة وغيرها من العلوم التي يحتاجها الفرد في هذا العصر، وكلّ ذلك كان منطلقاً لتأسيس الحوزات والجامعات الإسلاميّة التي تُعنى بالتدريس عن بعدٍ أو بصورةٍ افتراضيّة مجازيّة.

ففي الآونة الأخيرة اتسعت آفاق المعرفة، وتنوعت السُبُل أمام طالبي العلوم الدينيّة والإنسانيّة، فالإنترنت والفضائيات والمجلات الإلكترونيّة وكل هذا أدّى الى نهضةٍ مفاجئة في مجال التعليم الديني.

التعليم الإلكتروني أو التعليم الإفراضي

أصبح التعليم الإفتراضي من أكثر التقنيات التربوية نمواً حول العالم حيث يتضاعف عدد مستخدمي هذه التقنية بسرعة مذهلة، ويزداد عدد الجامعات والمؤسسات التعليمية التي تضع مقرراتها وموادها التعليمية على مواقع إلكترونية لتمكين أي دارس في أي مكان في العالم من الإلتحاق ببرامجها الدراسية.

فالتعليم الإلكتروني أو الإفتراضي وهو ذلك النوع من التعليم الذي يعتمد على استخدام الوسائط الإلكترونيه في الإتصال بين المعلمين والمتعلمين وبين المتعلمين والمؤسسه التعليمية برمتها، وهناك مصطلحات كثيرةٌ تستخدم بالتبادل مع هذا المصطلح:
Online Education, Electric Education, Web Based Education
وغيرها العديد من المصطلحات.[١]

وعلى الرغم من الإنتشار الواسع لهذا النوع من التعليم في الدول المتقدمة إلا أنه مازال في مراحله الأولى في معظم دول العالم، ومازال الكثير من الطلاب لا يحبذونه خاصة أنه يتم عن طريق الإنترنت، إذ إن الكثير من الطلاب يتخوفون من التعامل مع جهات تعليمية يفصل بينه وبينها آلاف الأميال، وقد لا يعلم لها مكانا محدداً، وهم يحبذون أن تكون شهاداتهم الجامعية صادرة من الجامعات الحضوريّة وبطريقة انتظامية معينة.

والحقيقة أن هذا النوع من التعليم شبيه بالتعليم المعتاد إلا أنه يعتمد على الوسائط الإلكترونية، فالتعليم إذًا حقيقي وليس افتراضياً كما يدل على ذلك مصطلح التعليم الإفتراضي. يقول دوبس وفليب:

١- المحيسن وهاشم، ١٤١٩.

إن المتعلم افتراضياً هو متعلّمٌ حقيقي لكنه يتعلم في بيئة إلكترونية.[١]

ويؤكد هذه الحقيقة ريتشارد لويس حينما يتساءل عن طبيعة المعنى الدقيق لكلمة افتراضي[٢] فيقول:

> إنّها تعني شيئاً ليس حقيقيّاً، ولكن هل التعليم باستخدام التقنيات الإلكترونية –كما يذكر- ليس حقيقياً؟ يجب أن ننظر إلى النتائج لا أن ننظر إلى عدم ظهور هذا النوع من التعلم، ولا شك أن نتائج هذا التعليم توحي بوجود تعليم حقيقي ربما يواكب التعليم المعتاد.[٣]

إنّ كلمة افتراضي هي ترجمة للمصطلح الأجنبي، وتعني أنّ المؤسسة التعليمية بما فيها من محتوى وصفوف ومكتبات وأساتذة وطلاب وتجمعات إلخ جميعهم يشكّلون قيمة حقيقية موجودة فعلاً لكنّ التواصل بينهم يكون من خلال شبكة الإنترنت.

حيث يمكن أن يتألف الصف الافتراضي من طلاب موزعين على سبيل المثال ما بين أستراليا والسعودية والعراق ولبنان وسوريا، ويحضرون لأستاذٍ في بلد ما، ويتفاعلون معه «افتراضيّاً» إما مباشرةً أو من خلال الخادم التقني الخاص بالمؤسسة، متحررين من حاجزي المكان والزمان.[٤]

ولذلك قد بدأ استخدام مصطلح «الحقيقة الإفتراضية»[٥] بدلاً من مصطلح افتراضي، وأصبحنا نسمع الحديث عن المدن الافتراضية، والطرق الإفتراضية، والرحلات الإفتراضية، والصف الإفتراضي وغير ذلك، وهذه عبارة عن حقائق واقعية سوف يتميز بها نمط الحياة في القرن الحالي.

---

1. Dubois and Phillipp, 1998, p. 137.
2. Virtual
3. Leiw, 1997.

٤- المحيسن، ١٤١٩، ص. ١٧٦.

5. Virtual Reality

وفي هذا السياق تظهر الجامعات الإفتراضية[1] والتي تهدف إلى تأمين أعلى مستويات التعليم العالي للطلاب في أماكن إقامتهم بوساطة الشبكة العالمية، وذلك عن طريق إنشاء بيئة تعليمية إلكترونية متكاملة تعتمد على شبكة متطورة، وقد أُنشئت أول جامعة افتراضيه متكاملة ومقبولة تقدم أكثر من ٦٠٠ مادة دراسة على الإنترنت، وهي جامعة جوتر في دنفر كلورادو وموقعها على الإنترنت[2].[3]

ومن أمثلة الجامعات الإفتراضية في العالم: جامعة[4]،[5] الجامعة السورية الإفتراضية[6]، وغيرها العديد من الجامعات في العالم.

التعليم الديني عبر الإنترنت

لقد منّ الله عزّ وجلّ على الإنسان بالعقل الذي جعل منه يخترع أساليب وأدوات مكّنته من الوصول إلى أهدافه العلميّة مختصراً المسافات والأزمنة والأمكنة، وقد كان الإنترنت من الإختراعات التي ألهم الله عزّ وجلّ بها الإنسان ليخترق المسافات، وليدخل بيوت الناس بغير حواجز، فكانت هذه الفرصة للسّاعين وراء اكتساب المعارف، وللطلاب لطلب العلم بطريقة سهلة ومريحة، وللعلماء لنشر العلوم والدعوة إلى تعاليم الدين الإسلامي المحمديّ الأصيل.

وقد نال الإنترنت ما لم تنله أي وسيلة أخرى لنشر المعلومات في تاريخ البشريّة من سرعة في الإنتشار والقبول بين أفراد الناس كافّةً، تنوعّاً في طبيعة المعلومات التي يوفّرها، وسهولة الوصول إلى المعلومات دون أي عقبات زمانيّة أو مكانيّة، وعمقاً في التأثير في حياتهم وتواصلهم مع الآخرين.

---

1. Virtual University
2. www.jonesknowledg.com

٣- العريني، ١٤٢٣، صص. ٢٨-٢٤.

4. Phoenix

٥- مارتن، ١٩٩٩.

٦- موقع الجامعة على الإنترنت: www.svuonline.org/Arab.SVU/index.asp

وقد أصبح الإنترنت اليوم المصدر الأول للعلومات والأخبار، حتى كاد أن يهدم إمبراطوريّات إعلاميّة تقليديّة أخرى كالصحف والمجلات والإذاعات وغيرها.

كما أنّ التعليم الديني عبر الإنترنت قد أصبح اليوم واحداً من الأمور المتطورة المطروحة على الساحة التعليميّة والذي أدّى إلى فتح الطريق أمام المتعطّشين لتعلم العلوم الدينيّة في مختلف الأماكن والأزمنة، فالتعليم الديني الإفتراضي فتح الأبواب أمام كل من لم تُتَح له الفرصة للتثقف وتعلّم العلوم الدينيّة في مختلف بقاع العالم.

ويهدف هذا النوع من التعليم الى تخفيف عناء طلب العلم المستلزم للنفقة والسفر أحياناً من بلد الى اخر، والى بذل الوقت الكثير وذلك من خلال وصول العالم الى المتعلم، ومن هنا تأسست العديد من الجامعات والحوزات الإفتراضية والتي تحتوي العديد من الأساتذة العلماء الذين يبذلون قصارى جهدهم لنشر العلوم الدينية والإنسانيّة، وقد تعدّدت الخصائص التي ميّزت التعليم الديني الإفتراضي ومنها:

تجاوز الحدود والحواجز، تجاوز الزمن، التفاعليّة، تنوّع التطبيقات، سهولة التواصل وتلقّي العلوم، مخاطبة كافّة الفئات العمريّة، مخاطبة الذكور والإناث، اختصار المسافات، كسر العقبات أمام المتعلّمين، اتاحة الفرصة لكافة طبقات المجتمع لتعلم العلوم الدينيّة، وغيرها العديد من الخصائص التي ساعدت وتساعد على نشر وتلقي العلوم الدينية في ظل التحديات الثقافية والسياسيّة والإجتماعيّة والأمنيّة المختلفة، وفي ظل الهجمة التي تطال الدين الإسلامي.

وقد كان التعليم الديني الإفتراضي من أهم ما توصل له الإنسان لتحقيق أهدافه المعرفيّة في النواحي الحياتيّة المختلفة وقد ساعد على نشر العلم والذي بدوره هو الطريق الوحيد للنجاة من التخلّف والشقاء، والخروج من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة.

من هنا نعرّف ببعض الجامعات الإسلاميّة والحوزات العلميّة التي تُعنى بتدريس العلوم الإنسانيّة والدينيّة عبر الإنترنت، والتي سهّلت الطريق أمام من لم تسمح له الظروف الأمنيّة أو الإقتصادية أو الإجتماعية المختلفة لدراسة العلوم الدينيّة في بلاده.

١- جامعة المصطفى ﷺ المفتوحة

هي مؤسسة علميّة ثقافيّة دوليّة تعنى بنشر العلوم الإسلاميّة والإنسانيّة والإجتماعيّة وهي تكرّس التقنيّات الحديثة في الفضاء الإلكترونيّ في سبيل إتاحة فرصة دراسة العلوم الإسلاميّة والإنسانيّة لجميع الراغبين فيها من أرجاء العالم على اختلاف المذاهب والقوميّات والأقاليم والجنس بغية تخريج علماء وخبراء متحلين بالتقوى والكفاءة، حريصين على بيان ونشر الإسلام المحمّدي ﷺ الأصيل، ليرغد العالم من خلال ذلك بصافي معين المعارف الإسلاميّة وهدي القرآن الكريم وأهل البيت ﷺ.

تعمل هذه الجامعة تحت رعاية جامعة المصطفى ﷺ العالميّة بترخيص رسميّ من وزارة التعلم العالي والأبحاث والتقنيّات في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران.

تهدف هذه الجامعة الى تخريج علماء متقين وأكفّاء في العلوم الإسلاميّة والإنسانيّة، الترويج للإسلام المبين ومعارف أهل البيت ﷺ في أرجاء العالم من خلال إنتاج ونشر المضامين الجاذبة والنافعة بمختلف اللغات في الفضاء الإلكترونيّ، التسهيل والدعم العلميّ لإكمال دراسة طلبة القسم الحضوريّ في جامعة المصطفى ﷺ العالميّة بشكل افتراضيّ.

تحتوي هذه الجامعة على اختصاصات بلغات متعدّدة في مقطعي البكالوريوس والماجيستر، بالإضافة إلى تعليم اللغة الفارسيّة.

موقع جامعة المصطفى ﷺ المفتوحة على شبكة الإنترنت:

http://mou.ir/ar

٢- جامعة آل البيت عليهم السلام الإلكترونية

هي أول جامعة إلكترونية عربية في مدينة قم المقدسة، تأسست عام ٢٠١٦م، وهي تعتبر كإحدى المراكز الأكاديمية الرائدة في مجال التعليم الإلكتروني، وتوفر إمكانية منفردة من نوعها لمجموعة واسعة لمشتاقي تعاليم القرآن، وأهل البيت عليهم السلام، وهو أحد إنجازات جامعة آل البيت عليهم السلام العالمية، وفقا لمعايير وزارة العلوم والبحوث والتكنولوجيا التابعة للجمهورية الإسلامية وعلى مقربة من مرقد السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

بدأت أنشطتها التعليمية والدوراتها التربوية في إطار جامعة آل البيت عليهم السلام الإلكترونية على شبكة الإنترنت، والتي هدفت من خلال تأسيسها إلى نشر علوم ومعارف أهل البيت عليهم السلام في جميع أنحاء العالم، ويقدم هذا المركز دورات أكاديمية موافقة لوزارة العلوم والبحوث والتكنولوجيا وكذلك يتم توفير دورات حرة في مجال العلوم القرآنية ومعارف أهل البيت عليهم السلام عبر الشبكة العنكبوتية.

موقع جامعة آل البيت عليهم الإلكترونيّة:

http://aiu.ac.ir/

٣- جامعة الأديان والمذاهب

جامعة الأديان والمذاهب، أول جامعة تخصصية من نوعها في إيران، انبثت من الحوزة العلمية، لتعمل على تنشئة وتربية كوادر علمية متخصصة في مجال الأديان والمذاهب.

هادفة لمعرفة مختلف الأديان والمذاهب، والإرتقاء بحركة التعارف و التواصل؛ وتعميم لغة الحوار القائم على أساس المشتركات بين أتباعها، كما تأمل الجامعة أن تساهم في خلق حالة من التعاون والتفاعل الإنساني، وإشاعة روح السلام، والتخفيف من آلام البشر، ونشر الأخلاق والمبادئ المعنوية، والتعريف العلمي بالإسلام وفق رؤية وتعاليم مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وقد أسّست هذه الجامعة فرعها الإفتراضي في العام ٢٠١٢م، وتدرّس مختلف الإختصاصات باللغة الفارسيّة في مقطعي البكالوريوس والماجيستر، وشهادتها رسميّة صادرة عن وزراة التعليم الإيرانيّة.

موقع جامعة الأديان والمذاهب الإلكترونيّة على شبكة الإنترنت:

http://vu.urd.ac.ir/

٤- حوزة الإمام الصادق عليه السلام الإفتراضية

هي حوزة علمية حقيقية تتعاطى أمور التدريس الحوزوي على الإنترنت لإفساح المجال أمام العالم أجمع للتعرف على الحوزة العلمية وما يلقى فيها من دروس ومحاضرات تواصلاً مع الطلبة والراغبين بإكمال الدراسة الحوزوية وتحديث مناهج التدريس بما يتناسب ومعطيات العصر وتأهيل الكوادر للعمل في مجالات الحياة وسهولة الانتماء وقلة الكلفة وعدم تعارض الإستمرار في الحوزة مع العمل اليومي.

الموقع الرسمي للحوزة على شبكة الإنترنت:

http://www.al-hawzah.com/index.php?plugin=main&display=main

العالم الإفتراضي من منظار قائد الثورة الإسلامية

لقد شدّد قائد الثورة الإسلامية سماحة الإمام الخامنئي على ضرورة استخدام الوسائل المتطورة الحديثة في نشر العلم والعلوم ومواكبة ما يحصل في العالم أجمع، ومواجهة العدو والساعين الى تدمير أصالة الدين الإسلامي المحمدي صلى الله عليه وآله من خلال هذه الوسائل المعاصرة التي يمكن لها أن تكون مصدر قوّةٍ لنا كمسلمين متمسكين بتعاليم نبيّنا المكرّم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الميامين عليهم السلام.

وننقل هنا بعض البيانات التي ألقاها سماحته في مناسبات مختلفة.

١- الفضاء الإفتراضي ساحة جهادٍ لا حدّ لها

إنّ الفضاء الإفتراضي اليوم هو صحراء لا نهاية لها ويمكن التحرك فيها من كل الجهات، لم يعد الأمر كالسابق، حيث كنتم إذا أردتم بيان مطلب ما تضطرّون لكتابته على الأوراق ثم تستنسخونه أو تطبعونه وتصوّرونه عشر نسخ أو مئة أو مئتي نسخة؛ الوضع الآن ليس هكذا.

كل شخص يمكنه استخدام الحاسوب لوحده وسيلة إعلامية، إنهم يجلسون ويبثّون الشبهات والكلام والأفكار ليضلّوا الشباب المؤمن السليم، يجب معرفة هذه الأمور، من هو الشخص الذي يجب أن ينزل إلى وسط الميدان ويجعل صدره درعًا ويكون مانعاً لانحراف الشباب؟ من هو الذي يجب أن يقف في وجه أعمال العدو لحرف أذهان الشباب؟ على عاتق من يقع هذا العمل؟ على المجتمع العلمي والديني، أي علماء الدين، أول مسؤولية من مسؤولياتهم هي هذه؛ وهي أهم مسؤولياتهم الواجبة عليهم.[١]

٢- الفضاء المجازي: منافع ومضارّ لا تحصى

لقد أسّسنا المجلس الأعلى للفضاء الإفتراضي لأجل هذه القضية لكي يجتمع المسؤولون ويجلسوا معاً ويفكّروا ويركّزوا جهودهم وقراراتهم وإجراءاتهم لمواجهة هذه الحادثة الكبرى.

إنّ هذا مجال يوجد فيه منافع لا تُحصى ومضارّ لا تُحصى، هكذا هو مجال الفضاء الافتراضي، يمكن اكتساب الحدّ الأكثر من المنافع، وهذا هو العمل الذي يقوم به العدو، أنتم أيضًا يمكنكم الإستفادة بالحدّ الأكثر في الجهة المعاكسة؛ انشروا المفاهيم الإسلاميّة والمعارف الإسلاميّة دون أي مانع أو رادع،

١- كلمة الإمام الخامنئي في الجلسة الأولى لدرس البحث الخارج، ٦-٩-٢٠١٦.

كما يقوم حالّياً البعض من هؤلاء الناس المؤمنين، من الشباب المؤمن، من المعمّمين وغير المعمّمين، العلماء وغير العلماء- بعض هؤلاء الشباب من غير العلماء الذين هم أكثر نشاطاً وفعالية في هذا المجال- بإنجاز أعمال جيدة جدّاً؛ فجأة، ينشرون على مستوى العالم مطلباً ما، مفهوماً ما، فكرة معينة ويروجونها، ما يربك الطرف المقابل فيحار ماذا يفعل.[1]

٣- الفضاء الإفتراضي من أكبر رموز التحول العالمي

ظهور الفضاء الإفتراضي في العقود الأخيرة أحد أكبر رموز التحول العالمي، إنه حدث راحت تظهر تأثيراته المذهلة على الأبعاد الثقافية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية والأمنية والدفاعية على الصعيدين الوطني والدولي أكثر فأكثر وباستمرار.[2]

٤- الأجواء الإفتراضيّة ساحة حرب

إنّ الاجواء الإفتراضية ساحة حرب حقيقية، وأدعو علماء وطلبة العلوم الدينية للتسلح والإستعداد للدخول الى ساحة التصدي للشبهات والأفكار الخاطئة والمنحرف، بل أن الأخذ بزمام المبادرة بنفسهم، أي أن يخرجوا بنفسهم في وسائل الأعلام لتوضيح الأمور وفضح مخططات الأعداء التي تستهدف المحيط العربي والإسلامي.[3]

١-مراجعة حكم تأسيس وتعيين أعضاء المجلس الأعلى للفضاء الإفتراضي، كلمة الإمام الخامنئي، (١٧-١٢-١٣٩٠ش).

٢- في كلمة لسماحته، بتاريخ الخامس من أيلول ٢٠١٥.

٣- في كلمة لسماحته، في لقائه آلاف الطلبة الإيرانيين بمناسبة اليوم الوطني لمقارعة الإستكبار العالمي، بتاريخ ١١/٣/٢٠١١.

الخاتمة

إنّ ما نعيشه اليوم من تحدّيات في واقعنا الإسلامي قد تطلّب من الجميع استخدام شتى الوسائل لنشر العلم والتعليم وخاصةً في ظلّ الهجمة الثقافيّة والحرب الناعمة التي تشهدها مجتمعاتنا، لا سيّما ما تضمّنته تلك الهجمة من تشويه صورة الإسلام المحمدي ﷺ الأصيل، والنيل من مباني الحضارة الإسلاميّة.

لذا كان لا بدّ من تطوير سُبُل التعلّيم الديني وكسر الحواجز التي تعيق الأجيال من انتهال العلم والمعرفة، ومواجهة التحدّيات الثقافية، والإجتماعية التي غزت المجتمعات برمّتها، فدخول التكنولوجيا إلى مجال التعليم الديني من أبرز التحدّيات التي ساهمت باختصار الجهد والوقت في سبيل فتح آفاق المعرفة أمام الآلاف في شتى بقاع العالم.

وعليه كان لا بدّ من تطوير أساليب التعليم الديني مواكبةً لتطورات العصر مع الحفاظ على أصالة العلوم الدينيّة، وذلك في سبيل إعلاء كلمة الحق، في وجه صانعي الجهل والظلام والتخلّف.

المصادر

١- **القرآن الكريم.**

٢- **بيانات قائد الثورة الإسلاميّة الإمام الخامنئي.**

٣- البهادلي، علي.، (١٩٩٣)، **الحوزة العلمية في النجف الأشرف، معالمها وحركاتها الإصلاحية**، بيروت: دار الزهراء.

٤- **ديوان أحمد الشوقي.**

٥- الطوسي، محمدبن حسن.، (١٣٨٨)، **الأمالي**، دار الهادي.

٦- العاملي، زين‌الدين‌بن علي.، (١٤٠٩)، **منية المريد في أدب المفيد والمستفيد**، بتحقيق رضا المختاري، قم: مكتب الإعلام الإسلامي، قم.

٧- العريني، عبدالرحمن.، من التعليم المبرمج إلى التعليم الإلكتروني، *مجلة المعرفة*، ٩١ (١٤٢٣).

٨- المجلسي، محمد باقر.، (١٩٨٣)، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة**ﷺ، ط ٢، بيروت: مؤسسة الوفاء.

٩- المحيسن، إبراهيمبن عبدالله.، (١٤١٩)، **تدريس العلوم: تأصيل وتحديث**، الرياض، مكتبة العبيكان.

١٠- المحيسن، إبراهيمبن عبدالله.، هاشم، خديجة.، (١٤١٩)، **التعليم العالي عن بعد باستخدام شبكة المعلومات الدولية**، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الثالث لإعداد المعلم، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية التربية.

١١- جمعية المعارف الثقافية.، (٢٠١١)، **الجامعة في فكر الإمام الخميني**، ط ١.

١٢- مارتن، شاك.، (١٩٩٩)، **مستقبل الإنترنت**، ترجمة موسى يونس، الرياض: بيت الأفكار الدولية، الرياض.

11. Dubois J., Phillip, Will., The Virtual Learner: Real Learner in a Virtual Environment, *Paper Presented at Virtual Learning Environment Conference*, USA: Denver, 1997.
12. Leiw, R., (1997), How Real is my Virtual University? *Paper Presented at Virtual Learning Environment, Conference*, USA: Denver, 1997.
13. http://aiu.ac.ir/
14. http://mou.ir/ar
15. http://vu.urd.ac.ir/
16. http://www.al-hawzah.com/index.php?plugin=main&display=main
17. www.jonesknowledg.com
18. www.svuonline.org/Arab.SVU/index.asp